منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني ابريل (نيسان) ١٩١٢ السنة الثالثة

الكهانة

اذا كان سعادة اسكندر عمون بك من مشاهير رجال القانون فهو ايضاً من كبار الكتاب العارفين آداب اللغة كل المعرفة . واذا كان اشتغالهُ بالقضاء فالمحاماة قد صرفهُ عن معالجة المواضيع الكتابية ، فان له في عهده الأول آثاراً ادبية تدل على تمكنهِ من صناعتي النظم والنثر . ولقد ظفرنا ببعض تلك الآثار وسننشرها بادئين بالفصل التالي وقد كتبهُ حضرته منذ نحوٍ من خمسٍ وعشرين سنة وهو مقتبس من موادٍ كثيرة كان سعادته قد اعتنى بجمعها واعدادها لوضع كتابٍ مطوّل في تاريخ العرب قبل الاسلام :

الكَهانة في اللغة القضآء بالغيب . والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الاسرار . وقد اختلف العلماء في وجه سبب الكهانة ؛ فمنهم من قال ان نفس الانسان اذا صفت وتغلَّبت على الجسم ، اطلعت على أسرار الطبيعة . ولذلك كان اكثر الكهّان معتلّي الاجسام ، بتغلب النفس فيهم على المادة ، كما اتصل بنا عن « شقٍّ » و « سطيحٍ » و « عمرانَ » وغيرهم من الكهان المشهورين .

ومنهم من قال : انّ وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكيّ ؛ ولعلّ ذلك خاص بالمنجمين دون غيرهم من الكهان . ومنهم من قال : ان للكاهنِ تابعاً من الجنّ ، ورئياً يلقي اليهِ الاخبار . وهو القول المشهور عندهم ، المعتمد في الاسلام . وقد جاءَ في صحيح البخاري عن النبي : أن الملائكة تتحدث في العِنان (أي الغمام) بالأمر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أُذُن الكاهن ، كما تقرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة . وقال الله في كتابه : يوحي بعضهم الى بعضٍ زخرفَ القول غروراً . وقال : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم (الآية) . وقال الازهري : كانت الكهانة في العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ؛ فلما بُعِثَ نبياً وحرست السماء بالشهب ، ومُنعت الجن والشياطين من استراق السمع والقائهِ الى الكهان ، بطل علم الكهانة . وقال الله في كتابه : وانّا لمسنا السماءَ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً

وكان للكهانة في الجاهلية شأنٌ عظيم لشدة اعتقاد القوم بها . فكان الواحد منهم اذا ضلّت له ضالة ، أو سرِق له شيء ، أو همّ بأمرٍ ذي بال أو أُصيب أحد من أهله بمرضٍ ، يذهب الى الكاهن فيستطلع منهُ ما يجبُ الوقوف عليهِ من مكان الضالة ، أو محل السرقة ، أو مآل الامر ، أو دواء المريض . وكانوا يقصدون الكهان بنوع أخصّ لأجل تفسير الاحلام المؤثرة ، لأنهم كانوا يعتقدون انها نبأ روحاني عما سيقع لهم من الأمور الخطيرة في مستقبل الزمان . وكانوا يحترمون أقوال الكهان فيما يسألونهم عنه ، فلا يخالفون لهم رأياً . وكان الكهان يتوخون السجع

في كلامهم ، لانهُ أوقع في النفوس ، فيستصغون الى أقوالهم الاسماع ، ويستميلون بها القلوب . . . أقول : وربما كان الغرض الاول من التزام السجع ترك الكلام مبهماً غامضاً ، لانَّ المتكلم اذا التزم في كلامهِ قافيةً ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، يباح له من الإبهام في أقواله ما لا يباح لغيره . وكل متكهن محتاجٌ الى ذلك الابهام

وقد اشتهر في الجاهلية عدد من الكهان ، أكثرهم في بلاد اليمن . فكان العرب يقصدونهم من أطراف البلاد لاستطلاع الغيب منهم في الأمور العظام ، غير معتمدين في ذلك على الكهان الذين بين ظهرانيهم . ثمَّ اذا صدَّقت الحوادث شيئاً من ظنونهم ، وصحَّ شيءٌ من أقوالهم ، تناقلتِ الالسنةُ الخبر ، وزادت عليهِ الرواة من الحكايات المختلفة أضعاف أضعاف الحقيقة ، فتزداد بذلك شهرتهم . وربما نسبوا اليهم أموراً في أزمنة لم يكونوا موجودين فيها ، كما نسبوا الى سطيح الكاهن أنهُ أنذر باستيلاء الحبشة على اليمن قبل الاستيلاء بسبعين سنة . ثم أوَّل رؤيا الموبذان بعد مولد النبي . ولذلك اقتضى الامر ان يجعلوا عمره نحواً من ثلثمائة سنة . وقد عنَّ لقوم أن يجعلوا مولدهُ قبل ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ، لكي تتفل هذه الكاهنة في فيهِ ، فينتقل اليهِ علمها ولذلك اضطروا أن يمدوا عمره الى ستة قرون أو اكثر

و « سطيح » هذا أشهر كهان الجاهلية . ثم يليه « شقّ » وكانا متعاصرين . وممن اشتهر قبلهما ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ملك اليمن الذي تفرقت الازد في عهده بسبب سيل العرم ؛ وعمران الكاهن أخو

عمرو المذكور؛ وعمران هو أوّل من رأى في كهانته أن قومه سوف يمزّقون كل ممزّق ، ويباعد بين أسفارهم . ثم رأت ظريفة في كهانتها نبأ السيل، فانذرت عمرواً . ومن الكهان الذين اشتهروا في آخر زمن الجاهلية سملقة وزوبعة وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وسديف بن هرماس ، وغيرهم ممن يضيق بنا المقام عن ذكر أخبارهم

ولنذكر هنا شيئاً من أخبار « سطيح » الكاهن على سبيل الانموذج والمثال ، لا سيما وأنهُ كان عند القوم بمنزلةٍ صيّرتهُ امام الكهانة ، فاصبحت أخباره جزءًا من تاريخ الكهانة نفسها

قالوا : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي ابن مازن بن غسان ، وسمي سطيحاً لعجزه عن القعود والقيام ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الارض ؛ ولما كان ذلك الرجل عجيباً عندهم في كهانتهِ، اقتضى الامر أن يكون كل شيءٍ متعلق بهِ عجيباً أيضاً . فكما انهم زعموا ان شقاً كان نصف انسان ، له يد واحدة ورِجل واحدة وعين واحدة ؛ كذلك زعموا انهُ لم يكن في جسم سطيح عظم سوى الجمجمة ؛ ولذلك كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب . وقالوا ان الجمجمة نفسها كان يلين عظمها اذا لمست باليد وانهُ كان اذا غضب اشتدت أوصاله فينتصب قاعداً ويبقى كذلك الى ان تسكن سورة غضبه . وقد ذكرنا أقوالهم في طول عمرهِ . وقد زعموا انهُ خرج مع من خرج من اليمن في أيام سيل العرم ومات في أيام كسرى أنوشروان

وأوّل ما تكهن بهِ سطيح انهُ كان نائماً مع اهلهِ في ليلة سهاكية

مظامة ، فاذا هو قد زعق من بينهم ورنّ وتأوّه وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنّكم ما طرق . قالوا : ما طرق يا سطيح . قال : ما طرق الاّ الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم فيهِ دح . قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح . قال : امر بسد النقرة ذو حبة في الوجرة وحرّة بعد حرّة ، في ليلة قرّة . فلم يكترثوا لقوله ، وتعاصفت مدود من أودية هنالك ، فجاءتهم في ليلة قرّة كما ذكر ، فساقت الانعام والمواشي وكادت تذهب بعامتهم

ومن اشهر ما يروى عن سطيح تأويله رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن اذ أنذرَ باستيلاء الحبشة على بلاده . وذلك ان ربيعة رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من اهل ملكه الاّ استدعاه اليه ، فلما اجتمعوا في داره قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا قصّها علينا نخبرك بتأويلها . قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئنّ الى خبركم عن تاويلها انه لا يعرف تأويلها الاّ من عرفها قبل ان اخبره بها . فقال له رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق اذ ليس احد اعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث الملك اليهما . فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له : اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها . قال : أفعلُ . حُمَمَة ، خرجت من ظلمه ، فوقعت بارض تَهِمَه فأكلت منها كل ذات جمجمه . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنَش ،

لينزلنّ ارضكم الحبش ، ولَيملكنّ ما بين أبين الى جرش . فقال له الملك وأبيك يا سطيح ، ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أ في زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين . قال : أ فيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم ؟ قال : يليه أرِم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم احداً باليمن . قال : أ فيدوم ذلك من سلطانه او ينقطع ، قال : بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن مالك بن فهر بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أ حق ما تخبرني ؟ قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتم ما قال سطيح لينظر أيتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت حممه فخرجت من ظلمه فوقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الاّ ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمه ، فأكلت كل ذات جمجمه . وقال شق وقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمه . فقال له الملك ما اخطأت ياشق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلنّ ارضكم السودان ، وليغلبن على كل طَفلة البنان ولَيملكن

ما بين أبين الى نجران . فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده ؟ قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم اشدّ الهوان قال ومن هـذا العظيم الشأن قال غـلام ليس بدني ولا مدَن يخرج من بيت ذي يزن قال أفيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولات تدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس ليوم الميقات؛ يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول ؟ قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه أمض

وروى الأزهري باسناده عن مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيـهِ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ارتجس ديوان كسرى وسقطت منهُ اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك مائة عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعهُ ما رأى فلبس تاجه وأخبر مرازبته بما رأى ، فورد عليهِ كتاب بخمود النار . فقال الموبذان وأنا رأيت في هذه الليلة وقصّ عليهِ رؤياه في الابل . فقال له وأي شيء يكون هذا ؟ قال حادث من ناحيـة العرب فبعث كسرى الى النعمان بن المنذر أن ابعث اليّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله . فوجه اليهِ بعبد المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني ، فأخبرهُ بما

رأى فقال : علمُ هذا عنـد خالي سطيح قال : فأتهِ وسلهُ وأتني بجوابهِ . فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمّ ام يسمع غطريف اليمن ام فادَ فآزلمّ بهِ شأو العنن ؟
يا فاصل الخطّة أعيت مَن ومَنْ أتاك شيخ الحيّ من آل سنَنْ
رسول قَيل العُجم يسري للوسَن وأُمه من آل ذئب بن حجَنْ
ابيضُ فضفاضُ الرداء والبدَن تجوب بي الأرضَ علنداةٌ شزَن
ترفعني وجناً وتهوى بي وجَنْ حتى أتى عاري الجآجي والقطَنْ
لايرهب الرعدَ ولا ريب الزمن تلفُّهُ في الريح بوغاء الدمَنْ
كأنما حُثحثَ من حضني ثكَنْ

قال . فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مُسيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان، وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبُعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عـدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قبض سطيح مكانه . فكان ذلك آخر ما تكهّن بهِ ونهض عبد المسيح الى راحلتهِ وهو يقول :

شمّر فانك ما عُمّرت شمّيرُ لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
ان يمس ملك بني ساسان أفرطهم فان ذا الدهر اطوارٌ دهاريرُ
فربمـا ربمـا أضحوا بمنزلةٍ تخاف صولهم اسدٌ مهـاصيرُ
منهم اخو الصرح بهرام واخوتهم وهرمزانٌ وسابورٌ وسابورُ

والناس اولاد علاّتٍ فمن علموا أن قد أقلّ فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأم لما ان رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان في قرَنٍ فالخير متّبعٌ والشرّ محذورُ

فلما قدم على كسرى اخبره بقول سطيح فقال كسرى : الى ان يملك منا اربعة عشر ملكاً تكون امور . فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى زمن عثمان . وكان من أمر انقلاب دولتهم ما كان[1]

اسكندر عمون

نابوليون الأول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تولستوي، الكاتب الروسي المشهور ، كتاباً تحت عنوان « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيهِ فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوبٍ انتقادي خطّأ فيهِ مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيس والروس الذين أسهبوا في الكلام على تلك الحرب ، وسفّه آراءهم من مثل ايجاد مؤرخي الفرنسيس أعذاراً لعاهلهم تنصّلهُ من تبعة تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الالوف من البشر ، وا نفقت في سبيلها القناطير المقنطرة من المال ، ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قيصرهم وقادة جيوشهِ تمكنوا بدهائهم من القاء الفرنسيس في تلك الورطة التي فغرت فاها وابتلعتهم . ولما كان تولستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلة التي ينظر بها اليهِ السواد الأعظم من بني الطينة ، أحببنا ان ننقل لقراء « الزهور » الكرام الفصل الاخير من الكتاب المذكور وننشره لهم على علاتهِ ، فاسحين على صفحات هذه المجلة مجالاً لأقلامهم

(١) لهذا الفصل بقية سننشرها في الجزء الآتي مع فصولٍ اخرى كتبها عمون بك في مباحث شتى عن العرب قبل الاسلام كما أشرنا الى ذلك